

موسوعة القرى الفلسطينية

صادفت منذُ أشهرٍ عدة، الذكرى الرابعة والسبعين للنكبة الفلسطينية المشؤومة والتي ألقت بظلالها على كامل الجغرافيا الفلسطينية، فاحتُلَّتْ 14 مدينة فلسطينية و774 قرية، منها 531 قرية دُمِّرَتْ بالكامل ومنها ما تم تدميره في السنوات اللاحقة للنكبة.

بلغ عدد اللاجئين الفلسطينيين على خلفية تلك الحرب حوالي 957 ألف نسمة قُدِّرَ عدد أبناء القرى المَهْجَرَة بنحو 805 ألف نسمة.

كما خَلَّفَتْ الحرب 50 مجزرة موثقة ارتكبتها العصابات الصهيونية في تلك القرى، و59 قرية في 7 مدن فلسطينية مُحيَّت من الوجود فترة الانتداب البريطاني ما بين عامي 1918-1948.

كثرت منذ خمسينيات القرن الماضي الأعمال الموسوعية التي وثقت القرى، وركزت بالدرجة الأولى على المجازر التي حدثت فيها، وكيف أثرت حرب 1948 على تلك القرى وسكانها.

مشروعنا بحثي توثيقي أطلقته أكاديمية دراسات اللاجئين بمبادرة من خريجها الذين طوروا الفكرة ويعملون بكل جهدهم لتوفير مادة أرشيفية موثقة توثيقاً علمياً حول كل قرية فلسطينية.

عملنا لايقتصر على توثيق القرى المهجرة، بل يتعداه لقراءة ودراسة حال القرى الفلسطينية التي لاتزال تنبض بالعروبة في الداخل الفلسطيني المحتل، إلى جانب القرى الصامدة في مدن الضفة الغربية وقطاع غزة.

أطلقنا مشروعنا منذ عام ونصف العام، وكانت أصداء الفكرة والدعم الذي تلقيناه من أبناء القرى أنفسهم دافعاً مهماً لأن نستمر في ما بدأناه، وشعرنا أن المشاريع السابقة على الرغم من أهميتها إلا أنها لم تغط جانباً هاماً في الحياة اليومية القروية قبل عام 48.

واليوم بات معظم فريق الموسوعة من أبناء القرى أنفسهم، والذين لم يوفروا أي جهد في دعم المشروع وتطويره، مستفيدين من وسائل التواصل الاجتماعي التي ساعدتنا في التعرف على أبناء القرى في مختلف أماكن تواجدهم، إضافةً لتواصلنا مع باحثين قاموا سابقاً في الكتابة والتوثيق عن قراهم محاولين استكمال ما بدؤوه من عمل في التوثيق عن قراهم.

بعيداً عن النكبة وآثارها، نعمل في مشروعنا على تغيير الصورة النمطية في القراءة ومن ثم الكتابة عن القرى الفلسطينية، إذ سينصب اهتمامنا في التركيز على الحالة الاجتماعية والثقافية، الاقتصادية، والتعليمية للقرية الفلسطينية قبل عام 1948، آمليْن في إضافة جانبٍ جديد للأعمال السابقة التي تحدثت عن القرى، مستكملين معها الصورة الحقيقية حول حضارة هذه الأرض التي يدعي الصهاينة أنها كانت أرضَ بلا شعب.

كثيراً ما طُرِحَ علينا سؤال لماذا اخترتم القرى لتنصيفها في موسوعة منفردة عن المدن، والحقيقة أن تركيزنا على القرية يعود لعدة أسباب تتمثل: في كون الأرض هي محور الصراع منذ اللحظة الأولى لإعلان المشروع الصهيوني، إذ انطلق الصهاينة في تنفيذ مشروعهم من قرانا الفلسطينية، فكان قرى سهل مرج ابن عامر على سبيل المثال من أوائل القرى الفلسطينية التي دفعت ثمن تنفيذ ذلك المشروع، وذكرنا الـ 59 قرية التي اندثرت فترة الانتداب البريطاني والتي حُوِّلَتْ لمستعمرات صهيونية وللأسف بعض الأعمال التوثيقية لم تذكر شيئاً عن تلك القرى، إضافةً لما وجدناه خلال بحثنا من مستوى حضاري واقتصادي ميّز القرية الفلسطينية منذ مئات السنوات ولم يكن ذلك محصوراً بالقرن العشرين كما يدعي البعض، فرأينا أنه من الواجب علينا تسليط الضوء على ذلك الجانب.

لم يكن عملنا منذ لحظة التأسيس سهلاً، وواجهتنا عدة مشكلات وعوائق، منها: ما يتعلق بموضوع دقة المعلومات وحقيقتها وكثيراً ما واجهنا مشكلة تضارب المعلومات حول بعض القرى بين مرجع وآخر، الأمر الذي يستغرق معه وقتاً أطول وجهداً أكبر لتتم كتابة أي معلومة في مدونتنا، الأمر الثاني تمثل في صعوبة حصولنا على نسخ ورقية أو إلكترونية من بعض المراجع والكتب الموسوعية الهامة التي تخص القرى والمدن الفلسطينية، إضافةً لتزايد طلبات المتابعين أعمال المشروع لمعلومات حول قراهم، ما تطلب منا العمل سريعاً لتوفر مادة أولية عن كل قرية، ناهيك عن معوقات الحصول على بيانات تخص بعض القرى التي ظَلِمَتْ توثيقاً، فلا نجد في أمهات المراجع التي نستند إليها في عملنا سوى معلومات موجزة ومختصرة جداً.

نأمل بأن نستكمل هذا النقص من خلال إعادة الكتابة عن تلك القرى بمساعدة أبنائها، واستناداً إلى الرواية الشفهية التي سيزودونا بها حول قراهم، والوثائق (البريطانية والعثمانية) التي تخص تلك القرى، ونسعى جاهدين للحصول عليها.

هذه المادة الأرشيفية ستتوفر بيد جميع من يرغب بقراءتها والاطلاع عليها، إذ سيجد الباحث بين يديه منصة إلكترونية تحتوي:

- مكتبة رقمية يتوفر فيها جميع الأبحاث والكتب السابقة التي اختصت أو تناولت الحديث عن القرى الفلسطينية.

- معلومات عامة وتفصيلية عن كل قرية.
- فيلم قصير حول كل قرية فلسطينية ضمن سلسلة "حكاية قرية".
- تصاميم انفوغرافيك تعريفية عن كل قرية فلسطينية.
- صور قديمة وحديثة وخرائط خاصة بكل قرية.
- مقابلات شفوية مع أعيان وباحثين من أبناء القرى.
- بحث خاص بكل قرية فلسطينية يقوم بإعداده فريق أكاديمي بحثي مختص استناداً لما حصلنا عليه من معلومات ووثائق من قبل أبناء القرى.

الحضور الكريم، دعوناكم اليوم لإعلان إطلاق موسوعة القرى الفلسطينية من هذا المنبر الطيب، وكلنا أمل بأن يلقي مشروعنا الدعم من الباحثين والمهتمين والمؤسسات البحثية وأبناء القرى، لنقدم ما هو أفضل ويليق بقرانا الفلسطينية.

ختاماً نتوجه بأسمى آيات الشكر والتقدير لـ نقابة الصحافة اللبنانية ممثلةً بنقيبها الأستاذ على هذه الإستضافة الكريمة، وللحضور الكريم على تلبية دعوتنا، ولكل ركن نجاح من أركان هذا المشروع أعضاء فريق الموسوعة الأكارم من يعملون ليل نهار بلا كلل أو ملل منذ عام ونصف لننجز ما أنجزناه في مشروعنا هذا، فكانوا الذاكرة الحية التي تنبض بذكريات قراهم تكتب وتبدع لتضيئ صفحة من صفحات تاريخها المشرق، فلهم منا أسمى آيات التقدير.

نرجو من الحضور الكريم، زيارة موقعنا الإلكتروني وتزويدنا بملاحظاتكم ومقترحاتكم، فدعمكم استمراً لمشروعنا.

دمتم ذاكرةً حيةً لفلسطين بمدنها وقراهم، وعلى أمل اللقاء بكم فوق أرض فلسطيننا الحبيبة وفي قراها الحرة المحررة بإذن الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.